الباب الثاني

أنواع التصوف

١- التصوف السُّنِّيُّ.

٢- التصوف البِدْعِيُّ.

٣- التصوف الفلسفيُّ.

الشطح

أنواع التصوف

- ظهر التصوف منذ نشأته إلى هذا الوقت في ثلاثة أشكال:

أولاً: التصوف السُّنِّيّ: (وهو المعتبر والمعتمد عند أهل التصوف الحقيقيين)

- وهو ما اعتمد في طريقته وسلوكه على القرآن والسنة، وهذا ما سمي أيضاً بالتصوف السلفي أو التصوف الشرعي كما سماه ابن تيمية[1].

- وهو يدعو للتقيد بالشريعة السَّمْحة بعيداً عن الشطحات الكثيرة، وهذا هو التصوف الذي نتحدث عنه في كتابنا هذا، ونتمسك به وندعو إليه.

- وقد عبر عن هذا التصوف العارف بالله سهل التستري وهو من كبار علمائه بقوله: (أصول طريقتنا ستة: التمسك بكتاب الله، والاقتداء بسنة رسول الله، وأكل الحلال، وكفُّ الأذى، واجتناب الآثام، وأداء الحقوق)[2].

- التصوف السني يقوم على الاعتدال والوسطية والتوازن في كل شأن من شؤون الدين والدنيا محققاً قول الله سبحانه وتعالى:

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾[3].

- وقوله تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾﴾[4].

---

(١) انظر الفتاوى جزء ١٠ ص٥١٧.

(٢) دائرة معارف الشعب، جزء٣، ص٤٨١.

(٣) سورة القصص: ٧٧.

(٤) سورة الأعراف: ٣١.

- وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ ﴾[1].

إلى غير ذلك من الآيات التي تدعو إلى التوسط والاعتدال وعدم المغالاة أو الإفراط أو التفريط.

- ولقد أشار سماحة المربي الشيخ أحمد كفتارو رحمه الله إلى هذا النوع من التصوف -وهو الذي اعتمده منهجاً في تربية تلامذته- حين قسم التصوف إلى قسمين:

التصوف القرآني، والتصوف الرهباني، وقال منتقداً التصوف الرهباني:

(إن التصوف الرهباني هو الذي حطم وجود العالم الإسلامي الفكري والحضاري، وهو الذي أضعف المسلمين فكرياً وحضارياً.

ثم تحدث عن التصوف القرآني فقال: وأما التصوف القرآني فهو التصوف المعتمد بل النابع من تعاليم القرآن التي توجه إلى الفقه الباطني والتزكية النفسية والتربية الأخلاقية ويعقب على ذلك بقوله: (دعونا من كلمة تصوف ولنعد إلى مصطلح القرآن: التزكية والتربية الروحية والتربية الحكيمة التي تعطي إسلام الحياة المتكاملة فكراً وروحاً وخلقاً ومعاملة).

ثم أضاف قائلاً: (وأما التصوف القرآني بحقائقه الكلية وواقعه فينقسم أيضاً إلى قسمين:

١-التصوف الخلقي. ٢- التصوف التحققي.

---

(١) سورة الإسراء: ٢٩-٣٠.

● **فالتصوف الخلقي**: هو التصوف الذي يجب أن يتحلى به كل مسلم، ولا يستثنى منه أحد، وهو التربية الروحية القرآنية الخلقية بترويض النفس لتمثل أخلاق القرآن كاملة.

● **والتصوف التحققي**: هو إدراك مقام الإحسان كما جاء في حديث رسول الله ﷺ عندما جاءه جبريل وقال: ما الإحسان؟ قال: (أن تعبد الله كأنما تراه، فإن لم تكن تراه فهو يراك).

والإحسان هو أعلى مراتب الإيمان بل هو اليقين الحقيقي وهو الإيمان الشهودي.

فعَنِ الْحَارِثِ بن مَالِكٍ الأَنْصَارِيِّ، أَنَّهُ مَرَّ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ يَا حَارِثُ؟» قَالَ: أَصْبَحْتُ مُؤْمِناً حَقًّا، فَقَالَ: «انْظُرْ مَا تَقُولُ؟ فَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ إِيمَانِكَ؟» فَقَالَ: قَدْ عَزَفَتْ نَفْسِي عَنِ الدُّنْيَا، وَأَسْهَرْتُ لِذَلِكَ لَيْلِي، وَاظْمَأْتُ نَهَارِي، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى عَرْشِ رَبِّي بَارِزًا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَزَاوَرُونَ فِيهَا، وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى أَهْلِ النَّارِ يَتَضَاغَوْنَ فِيهَا، فَقَالَ: «يَا حَارِثُ عَرَفْتَ فَالْزَمْ»، ثَلاثًا.(١))(٢).

ثانياً- التصوف البدعي: (وهو المردود والمرفوض عند أهل التصوف الحقيقيين)

- وهو ما ابتدعه بعض من انتسب إلى التصوف، وأدخلوا فيه بدعاً كثيرة تنافي الشريعة وليس لها أصلٌ فيها، وقد جاء في كتاب الاعتصام: (البدعة عبارة عن طريقة في الدين مخترعة تضاهي الشريعة يقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى)(٣).

---

(١) أخرجه الطبراني في الكبير.

(٢) د. محمد شيخاني: التربية الروحية بين السلفيين والصوفيين ص٩٧.

(٣) الشاطبي: الاعتصام، جـ١ ص٣٠.

– وهذا مرفوض شرعاً ويرفضه أهل التصوف الحقيقيون، وقد ظهر من بعض الصحابة مثل هذا الأمر، فأظهر النبي ﷺ رفضه له وعدم موافقتهم يظهر ذلك واضحاً في الحديث الذي رواه أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ ﷺ يَقُولُ: جَاءَ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا فَقَالُوا وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ. قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا. وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلاَ أُفْطِرُ. وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلاَ أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[1].

سؤال مهمّ يجب أن نفهم جوابه: ما البدعة وما حكمها؟

– قال الحافظ ابن حجر في شرح حديث البخاري: («وشر الأمور محدثاتها»[2].

البدعة لغة: كل شيء أُحدث على غير مثال.

وقال أيضاً في شرح حديث :«نِعْمَتِ البدعة هذه»[3].

البدعة أصلها ما أحدث على غير مثال سابق.

البدعة شرعاً: عرف الإمام النووي البدعة: (هي إحداث ما لم يكن في عهد رسول الله ﷺ)[4].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه.

(٣) أخرجه البخاري ومالك.

(٤) تهذيب الأسماء واللغات جزء٣، ص٢٩٨.

هذا وقد قسم العلماء البدعة إلى قسمين اثنين: بدعة محمودة، وبدعة مذمومة.

فقد قال الشافعي رحمه الله تعالى: (البدعة بدعتان: بدعة محمودة، وبدعة مذمومة، فما وافق السنة فهو محمود، وما خالف السنة فهو مذموم)[1].

وأخرج البيهقي عن الإمام الشافعي في مناقبه: (المحدثات ضربان: ما أُحدث فيه مما يخالف كتاباً أو سنة أو أثراً أو إجماعاً فهذه البدعة الضلالة، وما أُحدث فيه من الخير لا يخالف شيئاً من ذلك فهو محدثة غير مذمومة)[2].

وقد تحدث العديد من العلماء في البدعة، وأوصلوها إلى خمسة أقسام:

- **واجبة:** مثل تعلم النحو، ونظم أدلة المتكلمين للرد على الملاحدة والمبتدعين...
- **مندوبة:** مثل الأذان على المنائر، وتصنيف كتب العلم وبناء المدارس وغير ذلك...
- **مباحة:** مثل استعمال المنخل، والتوسع في المأكل والمشرب...
- **مكروهة:** مثل تزيين المصاحف وزخرفة المساجد...
- **محرمة:** وهي ما أحدث مخالفاً السنة، ولم تشمله أدلة الشرع العامة، ولم يحتوِ على مصلحة شرعية.

- ومما يوضح فهم هذا الموضوع حديث النبي ﷺ الذي قال فيه: «مَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً حَسَنَةً فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ وَمَنْ سَنَّ فِي الإِسْلاَمِ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا

(١) أبو نعيم: حلية الأولياء جزء٩، ص١١٣.

(٢) ابن حجر: فتح الباري، جزء٢٠، ص٣٣٠.

وَوِزْرُ مَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»[1].

- هذا وقد سنّ بعض الصحابة أموراً في العبادات في عهد النبي ﷺ فوافقهم عليها وأقرّها، وأُخذ بها على أنها سنة حسنة، والأمثلة في ذلك كثيرة[2] أذكر منها مثالاً واحداً على سبيل الذكر لا الحصر: عَنْ رِفَاعَةَ بْنِ رَافِعٍ الزُّرَقِيِّ قَالَ كُنَّا يَوْمًا نُصَلِّي وَرَاءَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ قَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ». قَالَ رَجُلٌ وَرَاءَهُ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ، فَلَمَّا انْصَرَفَ قَالَ «مَنِ الْمُتَكَلِّمُ». قَالَ أَنَا. قَالَ: «رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلاَثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا، أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلُ»[3].

قال الحافظ ابن حجر وهو يشرح الحديث: (يستدل به على جواز إحداث ذكر في الصلاة غير مأثور إذا كان غير مخالف للمأثور، وعلى جواز رفع الصوت بالذكر ما لم يشوش)[4].

- ومن هذا القبيل أيضاً ما سنه الصحابة الكرام بعد النبي ﷺ واجتهدوا به ووافقهم عليه جموع الصحابة وهو أمور كثيرة أذكر منها ثلاثة للتبيان لا للحصر[5]:

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه عن جرير بن عبد الله.

(٢) انظر كتاب المؤلف: د.محمد خير فاطمة اتباع لا ابتداع ص ١٨.
وانظر كتاب الشيخ يوسف خطار محمد الموسوعة اليوسفية في بيان أدلة الصوفية ص٤٨٩ وما بعدها.

(٣) أخرجه البخاري والنسائي وأبو داود وأحمد وابن خزيمة.

(٤) ابن حجر: فتح الباري جزء٣، ص١٨٨.

(٥) للتوسع أكثر انظر كتاب المؤلف د.محمد خير فاطمة اتباع لا ابتداع ص٢٢ وما بعدها.

١) قتال أبي بكر ﷺ لمانعي الزكاة واستباحة دمائهم حتى يذعنوا لهذا الركن حتى قال قولته المشهورة: (والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺلقاتلتهم على منعه).

فقال عمر: (فو الله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق)[١].

٢) جمع القرآن في كتاب واحد على عهد سيدنا أبي بكرﷺ وقد توقف فيه زيد بن ثابت وقال لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما كيف تفعلان ما لم يفعله النبي ﷺ ثم علم أنه مصلحة، فوافق على جمعه[٢].

وقد ذكر الشاطبي أن هذا العمل واجب وسماه مصلحة وأبى أن يسميه بدعة.

٣) جمع سيدنا عمر ﷺ المسلمين في صلاة التراويح في رمضان على قارئ واحد:

فعن عبد الرحمن بن عبد القاري أنه قال: خرجت مع عمر بن الخطاب ﷺ ليلة في رمضان إلى المسجد فإذا الناس أوزاع متفرقون يصلي الرجل لنفسه ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط فقال عمر: إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم قال: عمر نعم البدعة هذه[٣].

وعن أبي إسحاق الهمداني قال: خرج علي بن أبي طالب في أول ليلة من رمضان والقناديل تزهر وكتاب الله يتلى في المساجد فقال نور الله لك يا ابن الخطاب في قبرك كما نورت مساجد الله بالقرآن[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه.

(٢) انظر القصة في صحيح البخاري.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه.

(٤) ابن شاهين: كنـــز العمال.

مما سبق يجب أن نفهم جيداً معنى البدعة، وأن البدعة بدعتان بدعة محمودة وبدعة مردودة، والبدع المردودة هي الضلالة فقط.

- وهذا ما أكد عليه الإمام الشافعي في قوله: (ما أُحدث وخالف كتاباً أو سنة أو إجماعاً أو أثراً فهو البدعة الضالة، وما أحدث من الخير، و لم يخالف شيئاً من ذلك فهو المحمود)[1].

- وعلينا أن نعي **القاعدة الأصولية المشهورة** بين أهل العلم: (ترك النبي ﷺ لشيء لا يدل على حرمته، ما لم يأتِ حديث أو أثر بالنهي عن الشيء المتروك بمقتضى تحريمه أو كراهيته)[2].

- كل ذلك يجعلنا ألا نحكم على أمر نراه من أهل التصوف في طرقهم أنه بدعة، وأنها ضلالة، وهي في النار إلا إن تأكدنا بأنها مخالفة للقرآن والسنة وإجماع الصحابة، وليس لها دليل في هذه الأصول.

- ومن هذا القبيل فإن ذكر الناسِ الله ﷻ فُرادى أو جماعات، جهراً أو سراً بالصيغ المشروعة، من البدع الحسنة التي لها أدلتها من الشرع، وكذلك القيام لأهل العلم والفضل، وتقبيل يد العلماء والأفاضل، واستعمال السُّبحة (المِسبحة) في الذكر، والاحتفالات بمولد النبي ﷺ كلها لها أصلٌ في الشرع أيضاً[3].

- أما ما نراه من مظاهر الاختلاط بين الذكور والإناث في حفلات الذكر والموالد، واستعمال الآلات الموسيقية المتعددة -غير الدف- والأناشيد

---

(١) أخرجه البيهقي في مناقبه.

(٢) انظر د.محمد سليمان الأشقر: أفعال الرسول ﷺ ودلالتها على الأحكام التشريعية.

(٣) راجع كتاب المؤلف: د.محمد خير فاطمة اتباع لا ابتداع. وكتابه المولد النبوي الشريف اتباع لا ابتداع.

التي تتعدى ذكر الله ﷻ ومناجاته ودعاءه، والحديث عن النبي ﷺ وأخلاقه وصفاته وحبه، وحركات الرقص والتفنن بها أثناء ذلك، فكل ذلك وما شابهه بدعة مردودة مذمومة ضالة.

- **وأخيراً**: أقول لقد أسهبت في الحديث عن البدعة، وما يتعلق بها لأوضح للقارئ أن عليه أن يميز عندما يرى أي بدعة تظهر من أهل التصوف هل هي بدعة حسنة، أم بدعة سيئة قبل أن يحكم عليها بالضلالة والنار، أو يتأثر بأقوال الجهلة أو المغرضين.

- فإن خالفت الشرع فإن كل مؤمن صادق الإيمان يرفضها ويأباها، ولا يمكن له أن يمارسها أو يتغاضى عنها أو يقبلها، وأن يعلم أن أهل التصوف الحقيقيين لا يرضون عنها ولا يوافقون عليها، ولا يمكن أن تصدر منهم.

- وما ظهر من بدع من بعض المتصوفة، فإنما ظهر من المريدين المتأخرين منهم الذين لم يتقيدوا بشيوخهم الحقيقيين من أهل التصوف والطرق الصوفية المؤصلة، وهذا يدعو أن لا ينكر التصوف وأهله جملة وتفصيلاً، وإنما تنكر أعمال هؤلاء المبتدعين الجهلة.

- وإن وجد للبدعة أصلٌ في الدين فإنها تعدّ بدعة حسنة لا يُعارَض أهلها ويُتركون وشأنهم.

ثالثاً- التصوف الفلسفي:

(وهو مرفوض ومردود عند أهل التصوف الحقيقيين)

- وهو التصوف الذي تأثر بالفلسفات القديمة من يونانية أو رومانية أو فارسية أو هندية أو غيرها، وظهر على دعاتها انحراف في العقيدة أو التعاليم الإسلامية، وأهم هذه الانحرافات أقوالهم في وحدة الوجود والحلول والاتحاد، فهم يتصورون في وحدة الوجود إتحاد الحق بالخلق، وأن لا شيء في هذا الوجود إلا الحق، وأن الكل هو وأنه هو الكل، وأنه عين الأشياء، ففي كل شيء له آية تدل على أنه عينه، وهذا لا شك فيه كفرٌ وزندقة وهو أشد ضلالة من أباطيل اليهود والنصارى وعبدة الأوثان.

- والإيمان الحقيقي عند كل مسلم هو اعتقاده: (أن وجود الله ﷻ ذاتي، أي لا تأثير لغيره به، إذ أن الله تعالى هو الأول فليس قبله شيء.

- قال ﷺ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ»[1].

- أما وجود الموجودات فهو حاصل من إيجاد الله ﷻ لها، ومستمر بإمداد الله تعالى لها بالوجود، ولو انقطع الإمداد لعادت عدماً.

- وعليه فمن نظر إلى الموجد الممدِّ سبحانه وتعالى رآه هو الموجود حقيقة، ومن لاحظ الإمداد رأى الأشياء عدماً لولاه سبحانه، فوجودها ليس ذاتياً كوجود الله ﷻ، ولذلك قالوا: الوجود الحقيقي واحد وهو الله سبحانه وتعالى، ووجود غيره لا يشابه وجوده)[2].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه عن عمران بن حصين.

(٢) الشيخ يوسف خطار: محمد الموسوعة اليوسفية، ص٤٣٥.

- عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «أَصْدَقُ كَلِمَةٍ قَالَهَا الشَّاعِرُ كَلِمَةُ لَبِيدٍ أَلاَ كُلُّ شَيْءٍ مَا خَلاَ اللَّهَ بَاطِلٌ»[1].

- وأما القائلون بالحلول والاتحاد فهم يعتقدون أن الله سبحانه وتعالى قد حل في جميع أجزاء الكون في البحار والجبال والصخور والأشجار والإنسان والحيوان...الخ أو بمعنى أن المخلوق عين الخالق فكل الموجودات المحسوسة والمشاهدة في هذا الكون هي ذات الله تعالى وعينه، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، ولا شك أن هذا القول كفر صريح يخالف عقيدة الإسلام وشرعه.

- ينبغي للمسلم أن يعلم أن هذه الأفكار مرفوضة من وجهة النظر الإسلامية، ولا يمكن لأي مسلم قبولها لتصادمها مع مبدأ تنـــزيه الباري فهو الخالق لجميع المخلوقات، والمبدع لها من العدم.

- وعليه أن يعلم أن هذه الأفكار إن ثبتت على مدعيها و لم تكن مدسوسة عليهم لا يمكن قبولها على أنها من التصوف، فالتصوف بريء منها، ولا علاقة له بها لأنها تتصادم مع اعتقاد المسلم الذي جاءت به الشريعة الإسلامية.

- ولقد نُسِبَ إلى كثير من علماء التصوف الحقيقيين مثل هذه الأقوال وهم منها براء فهي مدسوسة عليهم من أعدائهم أو أن كلامهم لم يقصدوا به ما فهمه أعداؤهم، وكثير منهم دافع عن نفسه بالحقيقة وأظهر اعتقاده الحق، فقد قال الشيخ محيي الدين ابن عربي: (تعالى الحق أن تحله الحوادث أو يحلها. وقال في عقيدته الوسطى أعلم أن الله تعالى واحد بالإجماع ومقام الواحد يتعالى أن يحل فيه شيء أو يحل هو في شيء أو يتحد في شيء)[2].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه.

(٢) محيي الدين ابن عربي: الفتوحات المكية في العقيدة الصغرى.

- وقال في باب الأسرار: (لا يجوز لعارف أن يقول: أنا الله ولو بلغ أقصى درجات القرب وحاشا العارف من هذا القول حاشاه إنما يقول: أنا العبد الذليل في المسير والمقيل)[1].

- ثم قال: (من قال بالحلول فهو معلول فإن القول بالحلول مرض لا يزول، وما قال بالاتحاد إلا أهل الإلحاد، كما أن القائل بالحلول من أهل الجهل والفضول)[2].

- وأما قول أبي يزيد البسطامي رحمه الله: (سبحاني ما أعظم شاني) فهو في معرض الحكاية عن الله، وليس عن نفسه، وكذلك قول من قال: (أنا الحق) محمول على الحكاية أيضاً، ولا يظن بهؤلاء العارفين الحلول والاتحاد، كذلك غير مظنون بعاقل فضلاً عن المتميزين بخصوص المكاشفات واليقين والمشاهدات.

- وما أجمل إنصاف ابن تيمية أثناء توضيحه لكلام السادة الصوفية في هذا الشأن والدفاع عنهم فقد قال ما نصه:

(وأما ما ورد من كلام علماء السادة الصوفية في كتبهم مما يفيد ظاهرة الحلول والاتحاد فهو إما مدسوس عليهم بدليل ما سبق من صريح كلامهم في نفي هذه العقيدة الضالة، وإما لم يقصدوا به القول بهذه العقيدة الضالة، ولكن المغرضين حملوا المتشابه من كلامهم على هذا الفهم الخاطئ ورموهم بالكفر والضلال، أما العلماء المنصفون فقد فهموا كلامهم على معناه الصحيح الموافق لعقيدة أهل السنة والجماعة، وأولوه بما يلائم ما ورد عنهم من نصوص صحيحة موافقة لعقيدة أهل السنة والجماعة.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) المصدر نفسه كما في اليواقيت والجواهر جـ١ ص٨٠-٨١.

- ومن هذا القبيل قول ابن تيمية رحمه الله تعالى: وأما قول الشاعر في شعره:

أنا من أهـــوى ومن أهوى أنا

فهذا إنما أراد به الشاعر الاتحاد المعنوي كاتحاد أحد المحبين بالآخر الذي يحب أحدهما ما يحبه الآخر، ويبغض ما يبغضه، ويقول مثلما يقول، ويفعل مثلما يفعل، وهذا تشابه وتماثل لا اتحاد العين بالعين إذا كان قد استغرق في محبوبه، حتى فني به عن رؤية نفسه، كقول الآخر:

غبت بك عني فظننت أنك أني

فهذه الموافقة هي الاتحاد السائغ)[1].

- وقال ابن تيمية رحمه الله في تبرئة السادة الصوفية من هذه التهمة الباطلة ما نصه:

(ليس أحد من أهل المعرفة بالله يعتقد حلول الرب به أو بغيره من المخلوقات، ولا اتحاده به، وإن سمع شيء من ذلك منقول عن بعض أكابر الشيوخ فكثير منه مكذوب، اختلقه الأفاكون من الاتحادية الإباحية الذين أضلهم الشيطان، وألحقهم بالطائفة النصرانية)[2].

- وقال أيضاً: (كل المشايخ الذين يقتدى بهم في الدين متفقون على ما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها من أن الخالق سبحانه مباين للمخلوقات، وليس في مخلوقاته شيء من ذاته، ولا في ذاته شيء من مخلوقاته، وأنه يجب إفراد القديم عن الحادث، وتميز الخالق عن المخلوق، وهذا في كلامهم أكثـــر

---

(١) مجموع رسائل ابن تيمية ص٥٦.

(٢) مجموع الفتاوى جزء ١١ ص٧٤ و٧٥.

من أن يمكن ذكره هنا)[1].

- في هذا الموضوع لابد أن نشير إلى موضوع جانبي يتعلق به، ويتحدث به أهل التصوف، وهو موضوع (الشطح).

الشطح:

الشطح في اللغة: هو الحركة، يقال: شَطَحَ يَشْطَحُ إذا تحرك.

- ألا ترى أن الماء الكثير إذا جرى في نهر ضيق ففاض من حافتيه، يقال: شطح الماء في النهر.

- الشطح عند أهل التصوف: عبارة عن كلمات تصدر من بعض الصوفية بعبارات مستغربة في وصف وجدٍ (شعور نفسي) فاض بقوته وهاج بشدة غليانه ووهجه في حالة الغيبوبة وغلبة شهود الله تعالى عليهم بحيث لا يشعرون حينئذ بغير الحق، وهذه الكلمات لو صدرت عنه وعقله معه لأنكرها، وهذه الحالة غير محمودة عند الصوفيين.

- ومن الذين ذكر عنهم الشطحات أبو يزيد البسطامي والحلاج ومحيي الدين ابن عربي.

- ومع أن هؤلاء الرجال من المتصوفة قد أنكروا ما نسب إليهم في هذا الموضوع.

أو أنهم فسروا شطحاتهم بما يدفع التهم عنهم، (فقد نقل عن ابن العربي أنه قال:

يـــا مـــن يـــراني ولا أراه كـــم ذا أراه ولا يـــراني

(١) مجموع الفتاوى جزء ٢ ص٢٢٣.

فلما سمع بعض أصحابه هذا البيت قال له: كيف تراه ولا يراك، فأجاب مرتجلاً في لباقة عجيبة:

يـــا مـــن يـــراني مجرمـــاً ولا أراه آخـــــــــــــذاً

كـــــم ذا أراه منعمـــــاً ولا يـــــراني لائـــــذاً[1])[2].

- لكن بعض المعاصرين لهم والمنكرين قد اتهموهم بالزندقة والكفر، وقاموا بتجييش العلماء والحكام عليهم مما أدى إلى قتل بعضهم على أقوالهم تلك.

- ولكن المنصفين والمحبين لهم عللوا أقوالهم وفسروها بما يبعد الزندقة والكفر عنهم.

- فمنهم من عدَّ أن هذه الشطحات قد دست عليهم من أجل الإيقاع بهم، فلا يمكن لهؤلاء الرجال أصحاب الإيمان والتقوى والعلم والزهد أن يقع منهم مثل هذه الكلمات.

- ومنهم من قال: إن الشطحات يعفى عنها لأهل الأحوال والمواجيد الصحيحة كما حصل مع الرجل الذي أضل راحلته في الصحراء وعليها طعامه وشرابه ومتاعه، وعندما وجدها أصابه حال سرور، فأخطأ من شدة فرحه.

فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلاَةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ: مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ.أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»[3].

---

(١) لائذاً هنا: بمعنى مراوغاً ومنكراً، أي: يستر عليَّ تقصيري ونقصي ويسامحني.

(٢) موسوعة التراث الإنسانية، إصدار وزارة الثقافة المصرية، جزء١ ص١٥٦.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه.

- وفي الإجمال: فإن أهل التصوف الحقيقيين من العلماء العاملين، والمربين المرشدين، وأهل الله الصادقين، ينبهون بل ويشددون على أن العالم يجب ألا يظهر منه أي كلام أو ألفاظ تخالف الشريعة، ولو لم يقصد ذلك، بل عليه أن يكون كلامه وجميع ألفاظه مقيدة بالشريعة، ولا حاجة لكلام وألفاظ تحتمل أكثر من معنى، أو له مفهوم ومقصود غامض لا يفهمه كل الناس، ويحتاج إلى تأويل وتفسير وتوضيح، وذلك حتى لا يخوض الناس في مثل هذا الموضوع من جهة، وحتى لا ندع المجال لأعداء التصوف للطعن ومحاربة هذا الطريق المرشد إلى الله ﷻ وإلى اتباع القرآن والسنة المطهرة من أجل تعميق الإيمان، وتزكية النفس، وتطهير الروح، وطمأنينة القلب، وانشراح الصدر، والذي نحن في أشد الحاجة إليه في هذا الزمان العصيب.